الأهرام ملحق الجمعة
24 مايو , 2008 عدد رقم 44370

هوامش حرة

نداء الواجب

يكتبها: فاروق جـــــــويــدة



كان من الممكن أن تكون كتيبة رجال الأعمال التي صنعتها الدولة ووفرت لها كل فرص الثراء والانطلاق هي القوة الضاربة لتحقيق رخاء حقيقي للشعب المصري كله.. لقد وقفت الحكومة خلف هذه الكتيبة ودعمتها بالمال والأرض والقوانين والسلطة وكانت قادرة في ظل هذا المناخ أن تؤدي دورها في خدمة المجتمع بما يحقق أهدافها وفي نفس الوقت أهداف المجتمع الذي منحها كل الفرص.. ولكن للأسف الشديد أن الأنانية والنظرة الفردية الضيقة والرغبة في الثراء السريع جعلت هذه الطبقة الوليدة تأخذ كل شيء دون أن تقدم أي شيء..

كانت أحلام الدولة أن تشارك هذه الطبقة بمشروعاتها واستثماراتها في مواجهة أزمة البطالة.. وتوفير السلع.. وتشجيع الصادرات.. والخروج بمصر إلي آفاق أوسع من الاستقرار والرخاء وللأسف الشديد فشلت كل الجهود التي قامت بها الحكومة لتشجيع هذه الكتيبة فقد كانت أعمال السمسرة والمضاربات علي كل شيء بهدف الربح السريع هي الهدف والغاية وهنا لم يتحقق حلم الاستثمار وتوفير فرص العمل بالصورة التي كان ينبغي أن تكون عليها..

ولم تكن أنشطة هذه الكتيبة علي درجة كافية من الانتماء والشفافية خاصة ما حدث من تحويلات نقدية رهيبة للخارج، وبجانب هذا كان الهروب الكبير الذي جعل قلة قليلة تأخذ أموال البنوك وتهرب بها للخارج متناسية أن هذه الأموال هي مدخرات للفقراء والبسطاء من أبناء هذا الشعب الكادح..

علي جانب آخر كان الجانب الاجتماعي وهو الساحة التي ينبغي أن يتأكد فيها ولاء القادرين وصدق انتماءهم يشهد فراغـــا رهيبا بسبب غياب دور رجال الأعمال وإن

ظهرت قلة منهم حاولت أن تفعل شيئـــا مثل بناء مدرسة أو مستوصف أو مدرج في جامعة ولكن الدور الاجتماعي الحقيقي غاب تماما عن فكر رجال الأعمال..

وفي ظل غياب هذا الدور كانت السلوكيات الفجة والمستفزة صك إدانة لهذه الكتيبة التي لم تراع ظروف المجتمع ومشكلاته بحيث انقسم إلي قلة أخذت كل شيء.. وأغلبية تسأل عن رغيف خبز نظيف ولا تجده..

كانت خلاصة ذلك كله أن هناك فئة انقضت علي ثروات هذا البلد واستطاعت أن تنهب خيراته في فترة زمنية قصيرة للغاية..

والأسوأ من ذلك كله هو موجة الاحتكارات التي صنعتها هذه الفئة بعد أن سيطرت علي الصناعات الرئيسية من الحديد والأسمنت والأسمدة وتجارة العقارات والاراضي وبدلا من أن تسعي هذه الفئة إلي مجتمع آمن مستقر وجدنا ظواهر جديدة من العنف والرفض في الشارع المصري كان من أهم أسبابها غياب الوعي والدور والإحساس بالمسئولية من هذه الطبقة التي لم تدرك دورها الحقيقي..

عندما حدثت أحداث المحلة كنت أتصور أن يذهب فريق كامل من رجال الأعمال إلي رئيس الحكومة ويطلبون وضع برنامج لإعادة الحياة إلي المدينة المنكوبة وللأسف الشديد سمعت من يعلن أنه سيقوم بإصلاح مدرسة أو مجموعة محلات.. لو أن مائة شخص من رجال الأعمال القادرين وهم الآن بالآلاف اجتمعوا وقرروا تقديم عشرة ملايين جنيه من كل شخص فنحن أمام مليار جنيه يمكن أن تجمعها الحكومة في دقائق قليلة..

عندما ماطلت الإدارة الأمريكية في تقديم مساعداتها لمصر ومنها للأسف الشديد ١٠٠ مليون دولار؛ كان ينبغي أن يدفعها أحد رجال الأعمال القادرين خاصة أن منهم من يملك مئات الملايين من الدولارات، وبجانب هذا كله أين دور رجال الأعمال في المدارس والمستشفيات والخدمات العامة ودور المسنين والأيتام والعشوائيات.. إن العشوائيات التي تحاصر كل الأحياء الراقية في مصر قنابل موقوتة ومن واجب رجال الأعمال أن يزيلوا هذه الألغام لأنها بكل المقاييس تمثل تهديدا لأمن هذا الوطن واستقراره..

إذا كان من بين رجال الأعمال من أقاموا القصور من أموال هذا الشعب فإن واجبهم الإنساني والوطني أن يخرجوا بسكان المقابر من جحورهم قبل أن يتحولوا إلي ألغام تدمر كل شيء..

إن العقل والحكمة والوطنية تتطلب من رجال الأعمال أن يقوموا بدورهم الاجتماعي بعد أن قدم لهم المجتمع كل شيء.. إن الحكومة غارقة في ديونها وعجز ميزانيتها والدعم المطلوب منها ويجب أن تكون هناك وقفة في هذا الظرف التاريخي الصعب. أليس من المطلوب تحديث مستشفياتنا ومدارسنا وشوارعنا والقضاء علي مظاهر التخلف في الأحياء الفقيرة، إن الأثرياء في كل دول العالم يقومون بهذا الدور لأنه حصن أمان لهم قبل أن يكون منحة أو صدقة أو معونة..

من أين كانت ستأتي هذه الملايين التي جمعها رجال الأعمال في سنوات قليلة لا أحد فيهم يستطيع أن يدعي أنه عبقرية فردية ولكنها ظروف اتاحها المجتمع لهم سواء كان ذلك بالحق أو بالباطل وليس هذا هو السؤال الآن ولكن ماذا ستقدمون لهذه الأرض التي منحتكم كل شيء..

أنا واحد أؤمن إلي أبعد مدي بأن من حق كل إنسان أن يجني ثمار جهده وعمله ولكن بشرط أن يقدم ما عليه من دين للمجتمع الذي منحه الفرصة والثراء.. وبدلا من أن تلجأ الحكومة إلي جيوب الموظفين الغلابة وتفتش فيها من حين لآخر فإن علي رجال الأعمال أن يقوموا بدورهم في خدمة هذا المجتمع..

وهنا يجب أن يسأل كل واحد منهم نفسه.. إذا كنت قد اشتريت مشروعا من الدولة ثم قررت أن أبيعه وأكسب منه الملايين.. أليس من الواجب أن أقدم حق الشعب في هذه المكاسب..

إذا كنت قد احتكرت الحديد أو الاسمنت أو المواد الغذائية أو الأسمدة وحققت منها أرباحا طائلة أليس من واجبي أن أراعي الله في أسعار البيع ولا أفرض علي الشعب ما لا طاقة له به..

إذا كنت قد أنشأت المشروعات السياحية علي الشواطيء بأسعار رمزية للأرض وتدفق السياح ومعهم ملايين الدولارات لماذا لا أقيم مشروعا إنتاجيا للشباب أو أفتح سلسلة من المدارس أو أقيم مستشفي متقدما لخدمة الناس..

إن جامعة القاهرة التي أقامتها الأميرة فاطمة إسماعيل تنتظر من يجدد مدرجاتها وجامعة الاسكندرية تنتظر من أبناءها أن يقدموا يد العون لها وما أكثر الأمراء العرب الذين قدموا للجامعات المصرية الدعم لأنهم درسوا فيها وتعلموا منها في يوم من الأيام..

لا أعرف كيف يمكن أن يختار كل رجل أعمال مجالا يخدم منه هذا الشعب ولكن هذه دعوة صادقة لهذه الكتيبة التي حلمنا معها يوما بمجتمع آمن لكل أبنائه.. قد تكون المشاركة قد تأخرت بعض الوقت ولكن نداء الواجب يمكن أن يجيء في أي وقت..

fgoweda@ahram.org.eg

ويبقي الشعر

كانت خـــيولك ذات يوم
كالنـــجوم بـــلا عدد

أسرفت في البيع الرخيص
وجـــئت تـــرجو من أعاديـــك المدد

بـــاعوك في هذا المزاد
فكيف تسمع زيف جلاد وعد

الفـــارس المخدوع ألقـــي رأسه
فوق الجدار

وكل شيء في جوانحه همد
هربت خيولك من صقيع اليـــأس

فالشـــطآن حاصرها الزبد
لا شيء للفرسان يبقـــي

حين تنكـــسر الخيول
سوي البريق المرتـــعد

وعـــلي امـــتداد الأفـــق تـــنتـــحب المآذن
والكـــنائس.. والقباب وصوت مسجون سجد

هذي الخيول تـــرهلت
ومواكب الفرسان ينقصها

مع الطـــهر.. الجــلـــد..
هذا الزمان تعفـــنت فيه الرءوس

وكـــل شيء في ضمائرها فسد
إن كان هذا العصر

قد قطع الأيادي والرقاب
فكيف تأمن سخط بركان خمد..

من قصيدة لا تنتظر أحدا فلن يأتي أحد سنة١٩٩٨"